حسن النعمي

قيس يمكن

سرديات العزلة

سطور عربية

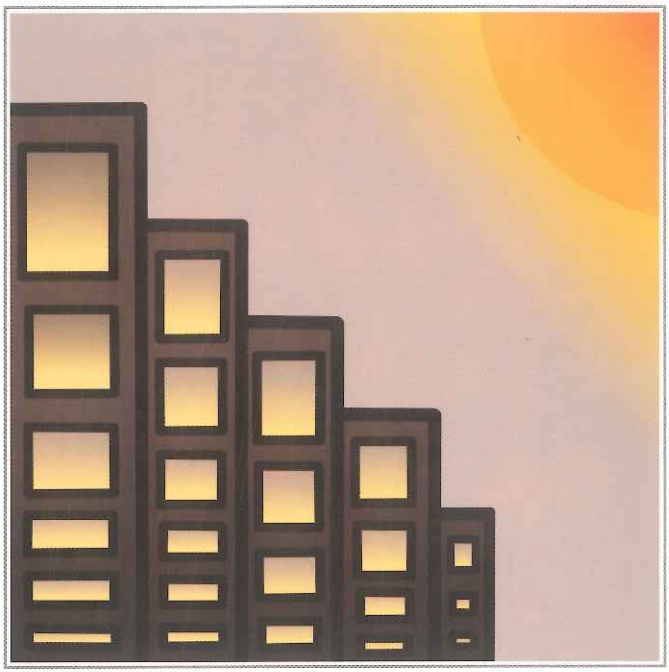

قيس يحكن

سرديات العزلة

حسن النعمي

قيس يمكن

سرديات العزلة

٢٠٢٠

ⓒ دار سطور عربية للنشر والتوزيع ، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النعمي ، حسن محمد.- جدة ،
قيس يمكن.. سرديات العزلة./ حسن محمد النعمي. ،
جدة ١٤٤٢هـ
١٦٤ ص ، ١٩×١٢,٥
ردمك: ١-٥-٩١٤٧٢-٦٠٣-٩٧٨

١-القصص العربية-السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣,١٩٥٣١ ١٤٤٢/٦٥٧

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٦٥٧
ردمك: ١-٥-٩١٤٧٢-٦٠٣-٩٧٨

لوحة الغلاف بريشة
فنن حسن النعمي

إصدارات دار سطور عربية للنشر والتوزيع
جدة - السعودية - هاتف: ٠٥٥٢٢٨٣٣٩٤
بريد إلكتروني darsotnor@gmail.com

مقدمة

العزلةُ سلاحٌ ذو حدَّينِ: حدٌّ يوصلكَ إلى الآخرينَ عبرَ وسائلَ مختلفةٍ، وحدٌّ يحبسُكَ داخلَ نفسِك، كنتُ محظوظاً بمعرفتِي طريقَ الوصولِ إلى الآخرينَ من خلالِ كتابةِ (يومياتي في العزلةِ)، وربَّما احتجتُ إلى أكثرَ من أسبوعينِ حتَّى أستوعبَ الحظرَ المنزليَّ؛ بسببِ جائحةِ (كورونا) الَّتي عمَّت العالمَ وانتشرت على نطاقٍ واسعٍ ومتسارعٍ.

واليوميَّات نمطٌ سرديٌّ يعتمدُ حضورَ ذاتِ المؤلِّفِ بمرجعيَّتِها الاجتماعيَّةِ والتاريخيَّةِ، فهي تسجيلٌ شخصيٌّ للأحداثِ والتَّجاربِ والأفكارِ والملاحظاتِ، ويمكنُ اعتبارُ اليوميَّاتِ نوعًا من أنواعِ السيرةِ الذَّاتيةِ.

وأذكرُ كيفَ تكوَّنت أوَّلُ يوميَّةٍ عندَما كنتُ في حديثٍ مع أبي عبرَ الجوَّالِ، الَّذي لم يصدق أنَّه لم يعُد بإمكانهِ الذَّهابُ إلى مزرعتهِ في قرية (مندر العوص) في (رجال ألمع)، ذكر أنَّ ما يؤلمهُ حقاً هو عدمُ استطاعتهِ أن يرويَ عطشَ الطَّير بماءٍ باردٍ عندَ رواحِها

في العصاري، ورغمَّ أنَّ هناكَ من يرى أنَّ وجودَ الإنسانِ طليقاً خطرٌ على الكائناتِ، فقد أثبتت جائحةُ (كورونا) أنَّنا بحاجةٍ إلى مراجعةِ مثلِ هذه الأقوالِ الفضفاضةِ، فالإنسانُ هو المكلَّفُ بعمارةِ الأرضِ حتَّى لو انحرفَ قليلاً عن مقاصدِها، بمعنى أنَّ التَّوازنَ مطلوبٌ للتَّعايشِ بينَ كلِّ المخلوقاتِ.

وسلكتُ في هذهِ اليوميَّاتِ طريقاً قوامهُ العفويةُ في التَّعبيرِ عمَّا يدورُ حولي، فأصبحَ للأشياءِ الصَّغيرةِ قيمتُها، كالسُّلمِ، والمروحةِ، والبابِ، والنَّافذةِ، وقطِّ الجيرانِ ...الخ، فهذه اليوميَّات اتَّخذت من السَّرد نمطاً لها فاقتربت من القصَّةِ القصيرةِ جداً، لكنَّها حافظت على روحِ البساطةِ والفكاهةِ والمعنى العميقِ في الوقتِ نفسهِ.

وفي ثنايا هذهِ اليوميَّاتِ ظهرت شخصيَّةٌ (قيس يمكن)، وله قصَّةٌ خارجَ اليوميَّاتِ، لكنَّ طبيعةَ هذه الشَّخصيَّةِ سرديَّة، - إذ استمدت اسمَها الأخيرَ (يمكن) من الاحتماليَّةِ وعدمِ حسمِ الأمورِ أو من تصوُّرٍ مسبقٍ للأشياءِ - ، حضرت هذه الشخصية لتأسيسِ حواريَّةٍ في سياقِ هذهِ اليوميَّاتِ، واللَّافت استقبالُ هذهِ الشَّخصيَّةِ بنوعٍ من القبولِ الَّذي فاجأني، فتغلغلت شخصيَّة (قيس) في اليوميَّات وخاصةً الأخيرةِ منها حتَّى كادَ يقصيني، وكانَ السُّؤالُ الدَّائمُ - بعدَ أن تركَ بصمةً لدى المتابعينَ في وسائلِ التَّواصلِ حيثُ أنشرُ يوميَّاتي وخاصةً منصَّة (تويتر)- من هو

(قيس يمكن)؟! وهل هو حقيقةٌ أم شخصيَّةٌ متخيَّلةٌ؟! والواقع أنَّهُ شخصيَّةٌ سرديَّةٌ في هذهِ اليوميَّاتِ.

هذه اليوميَّاتُ حرَّرتني من ضيقِ لحظاتِ العزلةِ، كنتُ أكتبُها صباحاً وأنشرُها مساءً، ومن خلال تواصلي وتعليقاتِ المتابعينَ ذكرُوا أنَّهم ينتظرونَ موعدَ نشرِها، وخاصَّةً اليوميَّاتِ الَّتي يحضرُ فيها (قيس يمكن).

نقطةٌ أخيرةٌ حولَ مصادرِ هذهِ اليوميَّات، المصدرُ الأوَّلُ؛ تأملُ ما حولي في نطاقِي الضَّيقِ في الحجرِ المنزليّ والتَّعبيرِ عنها كتأمُّل السُّجَّادةِ، أو الثُّريا وتوظيفِها في سياقٍ يستدعي التَّفكيرَ، فرغمَ البساطةِ إلَّا أنَّها محملةٌ بمعانٍ تلفتُ انتباهَ المتلقي، وأيضاً كانَ لاستدعاءِ الذكرياتِ القديمةِ وإعادةِ توظيفِها سرديَّاً حضورٌ قويٌّ وعاملٌ مؤثرٌ في استمرارِ هذهِ اليوميَّاتِ، فخرجتُ بهَا ومعَها من ضيقِ المكانِ إلى رحابةِ الذّكرياتِ، وآخرُ هذهِ المصادرِ؛ ما كنتُ أستشفهُ من حواراتِي مع بعضِ الأصدقاءِ الَّتي تولّد في ذهني فكرةَ يوميَّةٍ أبادرُ إلى كتابتِها.

حسن النعمي

(١)

اليومَ هاتفتُ أبي، وذكر أنَّه صار بعيداً عن مزرعته عصراً بسبب الحجر المنزليّ، لكنَّه قالَ إنَّ ما يؤلمه أكثرَ أنَّه لم يعد باستطاعته أن يضعَ ماءً بارداً للطُّيورِ عندَ رواحِها وقتَ العصاري.

(٢)

إذا جاءَ العصرُ حملتُ كتاباً، وصعدتُ إلى سطحِ بيتي؛ حيثُ أجدُ السماءَ قريبةً مني، أفتحُ الكتابَ، وأسرحُ بنظري في السماءِ فلا أرى دبيبَ الطائرات، يدنو الغروبُ فألتقطُ صوراً، وكأنَّه غروبُ مودع لا يعودُ، يُرفعُ الأذانُ:(صلوا في رحالكم)، أمدُّ سجادتي، وأطيلُ سجودي، ثم أبدأ في حوارٍ مع القمرِ إلى حينٍ لا أعلمُه.

(٣)

اليومَ جلستُ في مكتبتي...

احترتُ ماذا أقرأُ، شعرت أنَّ الكتبَ تساوت، وأنَّ الأفكارَ صارت آسنةً، قررتُ أن أفتحَ كتاباتي أيامَ الصّبا، قرأتُ فخرجتُ من عزلتي إلى عالمٍ أرحبَ من نطاقِ مدينتي، حتَّى جاءني اتصالٌ أعادني قسراً إلى عزلتي المنزلية!

(٤)

اليومَ نظرتُ من نافذتي، رأيتُ أرضاً شاسعةً، وسماءً تحجُبها بعضُ الغيوم، وكلُّ الأصواتِ حضرت إلا صوتُ الإنسانِ، فأغلقتُ النافذةَ، وعدتُ أتصفحُ كتبي.

(٥)

الإحساسُ بالحريةِ يبدأُ بالنظرِ من خلالِ النَّافذةِ؛ لذا فالسجونُ لا نوافذَ لها!

(٦)

جلستُ اليومَ أفكرُ في معنى الإقامةِ الجبريةِ، وأقارنها بما نحنُ فيه من عزلةٍ.

الخلاصةُ نحنُ أحرارٌ إلا من مخالطةِ الآخرينَ.

(٧)

اليومَ، وأنا أتأملُ بابَ بيتي من الدَّاخلِ، تذكرتُ قصةً قرأتها منذُ زمنٍ بعيدٍ، عن سجينٍ خسرَ عمرهُ كلَّهُ داخلَ السّجنِ؛ لأنَّه لم يكن يعرفُ أنَّ البابَ كان مفتوحاً، وما كانَ عليهِ ليخرجَ إلا أن يدفعهُ إلى الخارجِ بدلاً من سحبه إلى الدَّاخلِ!!

(٨)

اليومَ، كلُّ شيء في فناءِ البيتِ يسودهُ الهدوءُ إلا من صوتِ قطراتِ الماءِ تتهادى بإيقاعها الرَّتيبِ، ومن بعيدٍ كانَ قطُّ الجيرانِ ينظرُ إليَّ مشفقاً، تنحيتُ جانباً فهبطَ إلى حوضِ الماءِ يشربُ دونَ خوفٍ كالعادةِ، حينَها أغلقتُ البابَ، وعدتُ أجلسُ عند حافةِ النَّافذةِ أراقبُ الحياةَ الفاترةَ!

(٩)

فصلت يا بابا!!!

اليومَ تذكرتُ هذه الجملةَ، وأنا أتصفحُ ألبومَ صورِ العائلةِ، ابنتي في اليومِ الثَّاني في التَّمهيدي رفضت الذَّهابَ إلى المدرسةِ، وعلَّلت رفضَها بهذه الجملةِ الَّتي ظللنا نرددُها من بابِ الطَّرافةِ.

الآنَ أصبحت معيدةً، وتستعدُّ لبعثتها للماجستير، لكن بعد انقضاءِ زمنِ العزلةِ.

(١٠)

تأملتُ شجرةَ الحناءِ في فناءِ بيتي، وأضمرتُ في نفسي أنها كبرت، وحانَ تشذيبُها، وحينَما اقتربتُ منها استوقفني طائرٌ على غصنِها الأعلى، بقيتُ لفترةٍ أرقبهُ فلا هو طارَ فأعفاني من مسؤوليةِ إزعاجِهِ، ولا أنا أنجزتُ عملي، حتى نبتَ في ذهني سؤالٌ:

-من الذي يجبُ عليه أن ينصاعَ للآخرِ؟!!

(١١)

استلقيتُ لأقرأ، لكنَّ دورانَ مروحةِ السَّقفِ سرقَ مني عيني، أربكني دورانها الرَّتيبُ البطيءُ فهممتُ أن أوقفَه، لكنَّ شيئاً ما دفعني إلى فعلِ عكسِ ذلك، فبدلاً من إيقافها زدتُ سرعتَها، وكأنَّني أستعجلُ انقضاءَ أيام عزلتنا.

(١٢)

تذاكرتُ اليومَ مع أبي قصة طائرٍ بنى عشَّهُ على رأسِ أعوادِ الذرةِ، ولما حانَ موعدُ الحصادِ ظلَّ أبي يؤجلُ الحصادَ يوماً إثر يوم لعلَّ الطائرَ يرحلُ بنفسهِ، وعندما طال الوقتُ حصد أبي الزرعَ، وأبقى الزرعَ الذي عليه عشُّ الطائرِ حتَّى يقضي اللهُ أمراً كانَ مفعولاً.

(١٣)

حدَّثتني ابنتي اليومَ، أنَّه كانَ عليها – وهي صغيرةٌ- أن تُعدَّ طبقَ حلوى للضُّيوفِ، وذكرت أنَّها فشلت في بعضِ مراحلِ إعدادهِ، وخافت من لومِ أمها، تقولُ إني أنقذتهُا؛ إذ اقترحتُ عليها حينَها أن ترشَّ على طبقِ الحلوى حبوبَ السمسمِ، وبذلك اختفت معالمُ التَّشوهاتِ، وتقولُ إنَّ هذا الطَّبقَ صارَ اسمهُ بينَ صديقاتها (بابا ستر علينا)!!

(١٤)

قرَّرتُ أن أخصّصَ يومي لتأملِ بعضِ اللَّوحاتِ التَّشكيليةِ، بعضُها اقتنيتُها وبعضُها هدايا من الأصدقاءِ، اخترتُ لوحةً وبدأتُ أتأملُها، لوحة من محاكاةِ الطَّبيعةِ، قرأتُ ملامحها فبدت وكأنَّها منامٌ من منامات الظَّهيرةِ، الخطوطُ قلقةٌ، والألوانُ صاخبةٌ، والفراغاتُ شاسعةٌ.

(١٥)

اليومَ شاهدتُ مباراةَ كرةِ قدمٍ قديمةٍ، لفتَ انتباهيَ أنَّ خطَّ المرمى هو خطُّ النهايةِ، وهو خطُّ الفرحةِ، إذا تجاوزتهُ الكرةُ داخلَ المرمى، تساءلتُ كيفَ هو خطُّ نهايةٍ ونفرحُ بذلكَ؟ هل علينا عندَ كلّ نهايةٍ أن نفرحَ؟ أم أنَّ هناك نهاياتٍ أكبرَ تنتظرُنا لا نسعى إلى الانتصارِ فيها، بل الخلاصِ منها! عموماً اتَّضحَ أني نسيتُ، وأنَّني أوغلتُ في التَّفكيرِ والمؤذنُ يرفعُ صوتهُ (صلُّوا في رحالِكم)!!

(١٦)

على جدارِ (الصَّالونِ) سجادةٌ فاخرةٌ، تأملتُ دقَّة رسومها، لكن ما لفت انتباهي أكثرَ هو شكلُها المستطيلُ، ولما تأملتُ سجادَ الأرضيَّاتِ وجدتهُ على ذاتِ الشَّكلِ الهندسيّ. وعليه، ففرفُ منازلنا يغلبُ عليها هذا الشَّكلُ حتَّى في المجالسِ الرسميةِ. يجلس كبير القوم في صدر المجلس، حيث ضلعُ المستطيلِ القصيرِ. تأملوا السَّياراتِ والطَّائراتِ والبواخرِ والملاعبِ والمسابح، تأملوا مهدَ الطفلِ وشكلَ قبورنا، وحتى أغلبَ خرائطِ الدُّولِ تأخذُ شكلَ المستطيلِ، لا شيء واضحٌ هنا سوى أن نتأمل!!

(١٧)

قالَ صديقي (قيس يمكن) إنَّهُ اعتادَ من زوجتهِ أن تنقلَ الأشياءَ بشكلٍ دائم في البيتِ بحجة التَّجديد، اللَّوحاتُ وقطعُ الأثاثِ و... إلا لوحةً واحدةً بقيت معلقةً في مكانٍ منزوٍ لا يكاد يرى، ولما تطاولَ الحجرُ المنزليُّ تجرأتُ وعلَّقتها في (الصَّالونِ)، الغريبُ أنَّها لم تحتج ولم تقل لا شأنَ لكَ بما في داخلِ البيتِ.

صديقي حسن، تُرى لماذا لم تستنكر (المدام)؟

قلتُ له: ما اللَّوحةُ؟ قال (الصَّبرُ مفتاحُ الفرجِ).

(١٨)

دخلتُ اليومَ أفتشُ في قائمةِ الأسماءِ في جوَّالي، لكنَّ التَّجربة لم تكن سعيدةً تماماً، فقد مررتُ بأسماءِ بعضِ الرَّاحلينَ ممَّن عرفتهم، ولأني لم أجرؤ على طمسِها حينَ وفاتهم؛ لذا بقيت شاهدةً على حضورِهم في نفسي.

(١٩)

هاتفني اليومَ صديقي (قيس يمكن) وسألَ ما إذا كنتُ أذكرُ يومَ زفافه، فذكرتُ له التَّاريخَ، فقال: ليسَ هذا ما أقصدُ! أقصدُ هل كنتُ يومها سعيداً؟! ولأني أعرفُ صديقي أنَّهُ لا يستقرُّ على حالٍ، قلتُ له: كيفَ تشعرُ الآنَ؟ فقالَ:

كنتُ سعيداً، وربما في طريقي إلى الحزنِ!

(٢١)

اليومَ قرأتُ هذه الحكمةَ الَّتي تغني عن مئاتِ الحكمِ.

قيلَ لأحد السَّلفِ: كيف أنتَ ودينكَ؟

فقالَ:

هو ثوبٌ تمزقه المعاصي وأرقعهُ بالاستغفارِ.

ما أبلغَ السُّؤالَ، وما أعمقَ الإجابةَ!!

(٢٢)

على مائدةِ الإفطارِ تذكرتُ ما رواهُ أبي عن جدي عن أبيهِ، أنه إذا حلَّ رمضان أحضر كلُّ واحدٍ كسرة خبزٍ (من برٍ أو دخنٍ أو ذرةٍ) ليفطروا معاً في بيتِ الله من أجل البركةِ، وكانوا يرفعونَ أذانَ المغربِ بالتَّناوب بينهم، والبقيةُ يتوزعونَ كسرَ الخبزِ بالتَّساوي، وهم على هذهِ الحالِ سأل أحدهم عمَّا يحبُّ جدي، فنطق بعفويةٍ وهو في وسط الأذان (دخنة.. دخنة)، تذكرت الحكايةَ ودمعت عيناي وأنا أشاهدُ سفرةَ الإفطارِ أمامي تنوءُ بحالها من أصنافِ الأكلِ رغم الحجرِ المنزليّ وأسبابه!!

(٢٣)

سألَ صديقي (قيس يمكن) عن مسلسلاتِ رمضان، وطلبَ مني أن أساعدهُ في اختيار مسلسلٍ بشرط ألَّا يكون مملاً، ولا طويلَ الحلقاتِ، وخالياً من الإعلاناتِ، وممتعاً، وليسَ له مقاصدُ سياسيةٌ، ووو...

فقلتُ له: اقرأ، فالقراءةُ هي الَّتي ستحققُ شروطكَ!!

(٢٤)

يقولُ صديقي (قيس يمكن) إنَّه عندما وقفَ إماماً لوالديهِ وزوجتهِ وأبنائهِ استشعرَ عمقَ المعنى في الآية (ربِّ اشرح لي صدري)، فقد وجد رهبةً تسكنُ صدرهُ، وثقلاً يجلسُ على لسانهِ، فبالكادِ أنهى الفاتحة، ثم بحثَ عن محفوظهِ من القرآن فوجدهُ عصياً عليهِ إلا من بقايا تدلُّ على العجزِ أكثرَ من الحفظ، وبعد أن سلَّم حلَّ صمتٌ في الأجواءِ جعلهُ مرتبكاً ومنقطعَ الأنفاسِ كمن يصعدُ جبلاً دون راحةٍ.

(٢٥)

شكا لي صديقي (قيس يمكن) حالهُ مع أولادِه، قالَ: إنَّهم لا يأكلونَ ما يحبُّ، ويفضلونَ اختيارَ وجباتهم الَّتي لا تسمنُ ولا تغني من جوعٍ، وإنَّه رفقاً بزوجتهِ يتنازلُ عمَّا يحبُّ حتَّى لا يرهقها وهي تلبي طلباتِهم، لكنَّه عجزَ عن استساغةِ ما يحبُّون! قلت له: المهمُّ أن تجلسوا معاً على سفرةٍ واحدةٍ حتَّى لو تنوَّع طعامكُم!!

(٢٦)

اليومَ بدا لي أن أحصي كتبي الَّتي بدأتُ في جمعها منذ أيامِ الثَّانوية، لكنَّني وجدتها فكرةً مملةً، فعدلتُ عن ذلكَ إلى البحثِ عن الكتبِ المهداةِ إليَّ، استمتعتُ بقراءةِ الإهداءاتِ الَّتي تراوحت بين كلماتٍ أدبيةٍ وأخرى في خانةِ المجاملةِ، وشكرتُ نفسِي على الاحتفاظِ بهذهِ الكتبِ؛ إذ لم أفعل مثلَ ما رأيتهُ في معارضِ الكتبِ الأخيرةِ، حيث يعمدُ بعضُهم إلى تركِ الكتبِ المهداةِ إليهم دونَ احترامٍ لمن أهداهم!!

(٢٧)

أخذتني عزلتي إلى مشاهدةِ المسلسلاتِ التَّاريخية، فوجدتُ أنَّنا في حالةَ عجزٍ عن مواجهةِ واقعِنا، نعودُ إلى التَّاريخ مهما كانَ مزيفاً؛ من أجلِ أن نداويَ بعضَ آلامنا، لكنَّ التَّاريخَ الَّذي نرى ليس سعيداً دائماً، ففيهِ من البؤسِ مثلَ ما نراهُ في واقعِنا؛ لذا لا يجبُ أن نستغرقَ في التَّاريخِ أكثرَ من اللَّازمِ!!

(٢٨)

قال صديقي (قيس يمكن) إنَّه بعد تفكيرٍ وجد أنَّ الالتزامَ بالحجرِ المنزليّ والصَّبرَ على رتابةِ إيقاعِ الوقتِ أوصلَ التَّباعدَ الاجتماعيَّ عند بعضِهم إلى ضيقٍ نفسي، فقد عرفَ لأوَّل مرةٍ معنى (نفسه في طرف خشمه)، فكما يقولُ: أغلبُ النَّاسِ فضَّلُوا التَّوغل في الحياةِ الافتراضيةِ حتَّى أصبحوا منفصلينَ عمَّا حولَهم!!

(٢٩)

عثرتُ اليومَ على أوَّلِ قصةٍ كتبتُها، كانت بعنوانِ (خاتمة المطافِ)، شعرتُ وأنا أقرأوها أني أعيشُ في تلكَ الأيامِ، أتذكرُ المكانَ والزمانَ، ظهراً في غرفتي المطلَّةِ على شارعِ مترب في صيف عام ١٩٧٩، أذكرُ أني أخَّرتُ غدائيَ لأكتبَها، وبعدَ أن انتهيتُ منها ظللتُ أتأمَّلُ إبداعي فيها، فجأةً طرقَ أبي بابَ الغرفةِ يطلبني أن أذهبَ معهُ، قلتُ: لم أتغدَ بعدُ، قالَ لي مازحاً: (خل كتبك تنفعك)!!

(٣٠)

حدَّثني صديقي (قيس يمكن) أنَّه قرَّر أن يصوّر نفسَهُ للذّكرى، فظهرت على الفورِ مشكلةٌ: هل يتصوَّر بملابسِ البيتِ، أم لا بدَّ أن يلبسَ الثَّوبَ والشماغَ والعقالَ؟ ولأنَّه اشتاقَ إلى ملابسهِ الرَّسميةِ، ذهبَ إلى الخزانةِ، وفتحهَا فلم يجد ثيابهُ، وعندما سألَ عنها أخبرتهُ زوجتهُ أنها تخلصت منها خوفاً أن يكون بها أثرٌ (كورونا)!!

(٣١)

اليومَ وضعتُ أمامي ثلاثةَ كتبٍ، في السّياسةِ والتّاريخِ والفلسفةِ، نظرتُ في كتابِ السّياسةِ فأحسستُ بوخزٍ في نفسي، ولم يكن الحالُ أفضلَ مع كتابِ التّاريخ، فالأوّل يعلّمُ المراوغةَ، والثّاني ليسَ بعيداً عنه، أمّا الفلسفة فهي الّتي تجعلك محايداً أمامَ الواقعِ؛ حيثُ تأخذُكَ نحوَ البحثِ عن المجرّداتِ والأسئلةِ الأولى، لعلَّ الوعي بها يصلحُ رداءةَ الواقعِ، ويوجدُ للتّاريخ مبرراتٍ مقنعةً.

(٣٢)

وقعت عيناىَ على الثُّريا المعلقةِ بكبرياءٍ في (صالونِ) البيتِ، تساءلتُ: ما الحاجةُ لها، ونادراً ما أراها مضاءةً؟ تصدقتُ عليها فأيقظتُها من سباتِها، بدا نورُها خجولاً مع طغيانِ ضوءِ النَّهارِ الممتدّ إلى أرجاءِ (الصَّالون)، لا أدري لماذا أحسستُ أنَّها تغارُ من دفقةِ ضوءِ النَّهارِ، استلقيتُ وحدَّقتُ فيها لأجدَ نورَها يتضاءلُ، ما أذكرهُ أنَّهم أيقظوني للاستعدادِ للإفطارِ، وأوَّلُ شيءٍ فعلتهُ أني نظرتُ في سقفِ (الصَّالونِ) فوجدتُ الثُّريا تغطُّ في سباتٍ عميقٍ!!

(٣٣)

اليومَ وقفتُ أمامَ شجرةِ الحناءِ في حديقةِ بيتي، أشعرتني وهي تحملُ زهرهَا الفوَّاحَ أنَّ عزلتي لا تعني عدمَ الاستمتاعِ بما حولي، كثيرٌ من التَّفاصيلِ الصَّغيرةِ الَّتي أعدتُ اكتشافَها تسألُني:

لم هذه الغربةُ عنهَا في زمنِ العزلةِ؟

عندما طالعتُ ألبومَ صورِي أعادَ إليَّ حياةَ من رحلُوا، وحياةَ صغارِي، وحياةَ أصدقائِي في مناسباتٍ فوَّاحةٍ برائحةِ الحياةِ المختلفةِ.

(٣٤)

اشتكى صديقي (قيس يمكن) من السُّؤالِ الدَّائمِ عن اسمهِ الأخيرِ، فبعضُهم يتساءلُ عن أصلهِ، وهل اكتسبَ اسمهُ من صفاتٍ معينةٍ؟ يقولُ : أحياناً يشعرُ أنَّ اسمهُ الأخيرَ فوقَ التَّصنيفِ القبليّ والاجتماعيّ، لكنَّ الَّذينَ يستعملونَ الاسمَ الأخيرَ للتَّقليلِ من شأنِ غيرهِم أظهرُوا تنمرَهم تجاهَ كلّ ما ليس مألوفاً في سياقِهم الاجتماعيّ، ويسترسلُ (قيس): إنَّ أطرفَ ما واجههُ، عندما قالَ له أحدُهم: (صلّح اسمك وبعدين تعال تكلم معنا)!!

(٣٥)

أن تذهبَ إلى فراشِك متعباً، أن تطفئَ النُّورَ وتستسلمَ للظَّلامِ حتَّى لو كانت عيناكَ ما تزالانِ متشبثتينِ بتفاصيلِ اليقظةِ، فهذا يعني أنَّك دخلتَ في فاصلةِ الوقتِ، واقفاً على عتبةِ حلمٍ لا تعرفُ مداهُ، ترى خنجراً يفزعُكَ شكلهُ، لكنَّ ملمسهُ ناعمٌ، وتتجرأُ أكثرَ فتستلُّ نصلهُ من جرابِه، يا لهذهِ الشجاعةِ! يا لهذه اللَّحظةِ الغريبةِ! إذ ترى أنَّ رأسَ الخنجرِ يقطرُ دهنَ عودٍ، تبلل به ثيابَك بعنايةٍ وتشمُّهُ بتلذذٍ...ثمَّ ترى جيشاً من جحافلِ الضَّوء تغزو عينيكَ، فإذا بكَ عائدٌ إلى عزلتكَ الطَّويلةِ.

(٣٦)

قرَّرتُ اليومَ أن أحصيَ درجاتِ السُّلم في بيتي، السؤالُ الَّذي توقفتُ عندهُ، هل أبدأُ من أعلى السُّلم أو من أسفلهِ؟ ربما يبدو الأمر لكم عادياً، لكنَّ الفرقَ أنَّ العدَّ من الأعلى إلى الأسفلِ مريحٌ لي، ولا يتطلَّبُ جهداً يذكرُ، بدأتُ وفي خاطري أن أستحضرَ عند كلّ درجةٍ لحظةً من ذكرياتي في البيتِ، حاولتُ لكن شعرتُ أني لم أسكن بيتي بالمعنى الإنسانيّ رغم مرورِ سنواتٍ طوالٍ!!

(٣٧)

حدَّثني صديقي (قيس يمكن) أنَّه يحبُّ تشجيعَ فريقٍ معيَّنٍ، لكنَّه يتحاشى مضايقةَ أصدقائهِ الَّذين يفتقدون النَّجمَ الَّذي يباهونَ بهِ، ويقولُ إنَّه إذا خلا بنفسهِ استخرجَ ألبومَ الصُّورِ وقصاصاتِ الجرائدِ الَّتي تتحدَّث عن صولاتِ النجمِ الملتهبِ وجولاتهِ، اللَّاعب السَّاحر بفنه الكرويّ.

فإذا امتلأ بالبهجةِ تذكَّر بؤسَ أصدقائهِ الَّذينَ يشجعونَ الفريقَ الخطأ!!

(٣٨)

كنتُ مع مجموعةٍ أعرفُ بعضَهم، هدفُنا الاقتصاصُ من رجلٍ يزعم أحدُنا أنَّهُ ظلمهُ، دخلنا عمارتهُ، وعند بابِ الشُّقةِ السُّفلى وجدنا طبقاً مغطّى ظنناهُ طعاماً، طرقنا البابَ ففتحت امرأةٌ عجوزٌ لم تستنكر، أخذت منَّا الطَّبقَ وناولتنا قدراً مقلوباً على صحنٍ، صرخَ أحدُنا (مقلوبة)!!

قال أحدُنا: هذا قصاصُنا من الرَّجل.

ركبنا السَّيارةَ وانطلقنا في حذرٍ وخوفٍ، لكن عندما وصلنا غايتَنا لم نجد القدرَ، ولهولِ الصَّدمة استيقظتُ أتحسَّس مكاني فوجدتني ما زلتُ بينَ جدرانِ عزلتي!!

(٣٩)

لمَّا تأخَّر صديقي (قيس يمكن) عن موعدِ محادثتهِ اتصلتُ عليه، كانَ صوتهُ منكسراً ومزاجهُ نكداً، وبعد جهدٍ عرفتُ أنَّ قطَّتهُ المدلَّلة تعيش مكتئبةً، سألتهُ: أو تكتئبُ القططُ مثلَنا؟! فغضبَ، وقالَ: أو ليست مخلوقاً من مخلوقاتِ اللهِ؟!

ولما سألتهُ عن سببِ الاكتئابِ كانَ قد أغلقَ السمَّاعةَ.

(٤٠)

بدا لي وأنا أكتبُ يوميتي الأربعينَ أن أتأملَ سرَّ الرقمِ، ووجدتُ أنهُ رقمٌ يرمز إلى التَّطهرِ والتَّنقيةِ من الآثامِ والخطايا، رمز النُّضجِ والرُّشدِ والوعي بالمآلاتِ الكبرى، وتساءلتُ هل بشريةُ العصرِ الحديثِ أدركت الأربعينَ وعليها أن تمرَّ بدورة التَّطهر لتعودَ إلى الطَّريقِ؟!

بين فَرحٍ بالتَّأويلاتِ ومغتمٍ بها سألتُ نفسي: كم أربعونَ ليلةً مرَّت في العمرِ دونما تفكرٍ يقربني أكثرَ نحوَ إنسانيتي؟!

(٤١)

تصفحتُ اليومَ كتاباً قديماً فوجدتُ في ثناياهُ ورقةَ تقويمٍ قد اصفرَّت من طولِ مقامها، وجدتُ تاريخاً ليومٍ لا أودُّ أن أذكرهُ، لكنَّهُ كانَ قد بعثرَ ذاكرتي، وذكَّرني بمرارةِ الفقد.

أشعر أنَّ يوماً كهذا صعبٌ على أيِّ إنسانٍ أن ينساهُ، وهل علينا أن ننسى أو أن نحتفظَ بما قد يعوّضنا مرارةَ الفقدِ؟!

(٤٢)

حادثني صديقي (قيس يمكن) اليومَ، وهو في حيرةٍ من أمره، يقولُ: إنه كانَ يتقاذفُ الكرةَ مع ولدِه، فتجاوزت الكرةُ حائطَ بيتهم لتستقرَّ في فناءِ بيتِ جارِهم، وكانت الكرةُ تعودُ إليهم في كلّ مرةٍ بصمتٍ، إلا آخر مرةٍ عادت بعصبيةٍ، مع صوت شخصٍ نسي أن يقولَ: (اللهمَّ إني صائمٌ).

وبعدَ حينٍ اتصلت زوجة (قيس) تخبره أنَّ جارتهم تقول: (خلي قيس يكبر شوي)!!

-كيفَ يا (حسن) أكبرُ، ورأسي قد اشتعلَ شيباً؟!

(٤٣)

لأوَّل مرةٍ أسمعُ صوتَ (قيس يمكن) متقطعاً وهو يحدثني، استوضحتُ منه بصعوبةٍ، قالَ: إنَّه شعرَ بحساسيةٍ في صدرِه فتوجَّه إلى أقربِ مستوصفٍ، وهناكَ استقبلهُ أحدُ المرضينَ، واشتبه في إصابته بكورونا.

فجأةً وجدَ قيسٌ نفسهُ في غرفةٍ باردةٍ وباهتةٍ، وكانَ يرى فضولَ النَّاسِ من الفتحةِ الزُّجاجيةِ في البابِ، وفيما هو في حالةٍ من القلقِ جاءهُ الممرضُ يخبرهُ أنَّه (طلع سلبي)، غاصت الكلمةُ في داخله لأنَّه كانَ يناضلُ دائماً أن يكون إيجابياً، لكنَّه فرحٌ اليومَ لأنَّه (طلع سلبي)!؟

(٤٤)

تواصلَ معي شخصٌ لا أعرفهُ بدا مهتماً بما أكتبُ، وأكثرَ من الثَّناءِ عليَّ، فبادلتهُ الشُّكرَ والثَّناءَ، لكنَّني أحسستُ أنَّه كانَ أبلغَ في ثنائهِ، وأني لم أبلغ قدرَ ما فعلَ، فتحدَّثت مع صديقي (قيس يمكن) بشأنِ ما حصلَ، فقالَ قيسٌ: ما صورة الثَّناء؟ قلتُ: أرسلت له وردةً تقديراً لثنائه فردَّ عليَّ بثلاث وردات يحملهنَّ طائرٌ، فقال قيسٌ: ولم يكن محتاراً كعادتهِ: أنتَ صديقي يا (حسن)، وأستطيعُ أن أنحازَ لكَ، لكني أرى أنَّه كانَ أبلغَ منك وأكرمَ؛ لأنَّه أثنى تقديراً لأدبكَ قبلَ شخصِكَ، وأنتَ رددتَ عليهِ الثَّناء بأقلَ ممَّا فعلَ.

(٤٥)

(تعال يا قيس..النوخذة يبيك..تعال..البحر يبيك..ولما وصلتُ رأيتُ امرأةً تبكي حظَّها وتقول: ولدي أخذه البحر، حدثتُها فازدادَ بكاؤُها).

يقول (قيس يمكن): فزعتُ من هذا الحلمِ العجيبِ، حيثُ كانَ الهاتفُ يطلبني إلى الكويتِ.

سألتُ (قيس): لماذا الكويتُ؟ فقالَ: ربما لأنَّ ذاكرتي لا تزالُ مشبعةً بأوَّل مسلسلٍ كويتي شاهدتهُ في حياتي، حيثُ كانَ عن الغوصِ والبحرِ والنوخذة!!

(٤٦)

قادني الحديثُ مع صديقي (قيس يمكن) إلى موقفٍ غريبٍ، حكى لي أنَّه كانَ في مجلسٍ مع أناسٍ لا يعرفُ جلَّهم، لكن بدا لهُ أن يقولَ نكتةً ضمنَ سياقِ الجلسةِ – وهو نادراً ما يتحدَّثُ في المجالسِ- يقولُ بعدَ أن أنهيتُ النكتةَ سادَ صمتٌ مريبٌ، وربَّما عدم مبالاةٍ، ولمحتُ من بعيدٍ أحدهُم يضعُ ابتسامةً غيرَ مريحةٍ على وجههِ، ثم تنهَّد قيسٌ بحرقةٍ وقالَ: كانت هذه اللَّحظةُ أغربَ وأقسى لحظةٍ مرَّت بي، ألا تباً لمن يؤذي القلوبَ.

وسرحَ بعينيهِ في الفراغِ، فلمحتُ فيهما ألماً دفيناً!!

(٤٧)

في ليلةٍ صفا مزاجُ (قيس يمكن) فباحَ لي بسر عشقه القديم، عندما كانَ دونَ العشرينَ من عمرهِ، يومَها كانت الرسائلُ لغةَ التَّواصلِ، كتبَ رسالتهُ الأولى ويدهُ ترتجفُ من نشوةِ الحبّ، رشَّها بالعطرِ ثم وضعَها في لفافةٍ صوفيةٍ حتى تحتفظَ بعبقِها.

اتَّفقَ مع أخيهِ الأصغرِ أن يحملَ الرّسالةَ إلى بيتِ جيرانهم، حيثُ حبيبتهُ، مقابلَ حلوى عسليةٍ.

ذهبَ الصَّغيرُ يحملُ الرسالةَ، وعينُ (قيسٍ) ترقبُ الخطواتِ الصَّغيرةَ، طرقَ الصَّغيرُ البابَ، وفي لحظةٍ مربكةٍ كانَ الأبُ يملأ المكانَ، وبعدها صمتَ (قيسٌ) عن إكمالِ الحكايةِ!!

(٤٨)

صمتَ (قيسٌ) طويلاً حتَّى وطَّنتُ نفسِي على ذلكَ، ثمَّ بعدَ حينٍ بدا لهُ أن يكملَ.

لما ظهرَ أبوها عندَ البابِ ارتبكَ أخي الصَّغيرُ، ودنا الرَّجلُ منهُ، وأخذَ الورقةَ وقلَّبها بينَ يديهِ، ثمَّ طلبَ منهُ أن يقرأها، لكنَّ أخي كانَ أصغرَ من أن يقرأ، سألهُ الرَّجل: من أين جئتَ بها فلم يجب، ثم قالَ: أينَ (قيسٌ) ليقرأها؟ وما إن سمعتُ الكلامَ حتَّى ظهرتُ من وراءِ البابِ، فناداني الرَّجلُ، أمسكتُ الورقةَ وزورتُ أنَّ ما فيها ليسَ سوى طلباتٍ لأحدِهم لإحضارِها من السُّوقِ!!

(٤٩)

زرتُ مرةً مكتبةَ صديقي (قيس يمكن)، وأبديتُ إعجابي بها، ففرحَ كطفلٍ أعطيتَهُ قطعةَ حلوى، وبدأ يحدثني عن تأسيسِها، قالَ إنَّهُ بناها بنفسه كتاباً فوقَ كتابٍ، ويرجو أن يكونَ في العمرِ بقيةً ليعيش أكثرَ في رحابها، يحبُّ إهداءاتِ الكتبِ، ولا يعترفُ بإعارتها.

وخوفهُ من سيهتمُّ بها بعدَ رحيلهِ؟ فأولادهُ لا يهتمونَ بها، فجلُّ اهتمامِهم بالوسائطِ الأخرى، وتنهَّد تنهيدةً طويلةً رسمت شكلَ الألمِ على وجههِ!!

(٥٠)

حدَّثني صديقي (قيس يمكن) عن رأيي في العدّ التَّنازليّ، استغربتُ سؤالهُ لكني قلتُ لعلَّه الانطلاقُ من حالٍ إلى حالٍ، وأنَّ ما سيأتي بعدَ الانطلاقِ سيكونُ مختلفاً، فالعدُّ التَّنازليُّ من أجلِ الصُّعودِ إلى القمرِ غيرُ علاقتنا بالقمرِ، فلم نعد نحفلُ بغزلِ الشُّعراء بعد أن عرفنا أنَّ القمرَ ترابٌ في ترابٍ.

لم يطمئن (قيسٌ) إلى كلامي، وأخذَ يتمتمُ بكلماتٍ غيرِ مفهومةٍ، فقط تبيَّنتُ منها أنهُ مستعدٌّ لتقبل أيّ شيءٍ من أجلِ أن يودعَ الحجرَ المنزليَّ.

(٥١)

فاجأني صديقي (قيس يمكن) أنَّه أنجز كتابة روايةٍ في عزلته، وسيكونُ لها صدى أوسعُ من يومياتي، وأنَّه أشركني في بعضِ أحداثها، لكنَّه يعتذرُ مني سلفاً أنَّ شخصيتي في الرّواية ظهرت متجهّمةً وعبوسةً، فقلتُ لهُ: لماذا صيَّرتها هكذا؟! قالَ: أردتُك وقوراً فانحرفَ قلمي وصوَّرك متجهّماً، أعدكُ يا صديقي (حسن) في الرّوايةِ القادمةِ أستلهمُكَ شخصيةً طيبة الأثر.

قلتُ لهُ معاتباً: في يومياتي جعلتُ النَّاسَ تحبُّك، وتنتظرُ حضورَك، أقترحُ عليكَ يا (قيس) أن تعطي الخبزَ خبازَه، قالَ لي: ما يحتاج..صارت المخابزُ آليةً!!

(٥٢)

من ذكرياتِ صديقي (قيس يمكن) أنَّه حضرَ مباراةَ كرةِ قدمٍ في مسابقةٍ مدرسيةٍ، وتأخَّر أحدُ حكَّام المباراةِ، وتضجَّر الجميعُ من هذا التأخيرِ، فما كانَ من أحدِ المنظمينَ إلا أن قالَ: ابحثوا عمَّن يسدُّ مكانهُ، يقولُ قيسٌ: لا أدري كيفَ التقت عيناياَ في عيني هذا الرَّجل، فصرخَ: أنتَ تعالَ، ذهبتُ إليهِ وفي داخلي نشوةٌ غريبةٌ، لبستُ ملابسَ الحكَّام وحملتُ الرَّاية البيضاءَ، بدأت المباراةُ، أوقفتُ كلَّ محاولاتِ الفريقِ الَّذي من جهتي، حتَّى ألغيتُ هدفاً لهم.

ففرحَ من فرحَ، وغضبَ من غضبَ، واحتجتُ إلى أيامٍ لأداوي الرُّضوضَ الَّتي أصابتني.

(٥٣)

تذاكرتُ مع صديقي (قيس يمكن) هواياتِنا عندَما كنَّا صغاراً، فذكر أنَّه كانَ يهوى التَّمثيلَ في المدرسةِ، حتَّى قزَّمَ الأستاذُ طموحَهُ.

يقولُ: أعطاني دوراً جيداً في مسرحيةٍ عن فلسطينَ، لكنَّهُ ظلَّ يقلّصُ الدَّورَ ويوزّعهُ على غيري، حتَّى لم يعد لي من حركةٍ أقومُ بها أو كلامٍ أقولهُ سوى جملةٍ بائسةٍ تشبهُ حالَ القضيَّةِ في هذهِ الأيامِ.

(٥٤)

في إحدى مسامراتي معَ صديقي (قيس يمكن) وصلَ الحديثُ إلى أخي الَّذي رحلَ مبكراً، كانَ يحبُّ تجميعَ الأشياءِ بطريقةٍ لها معنى، وإحدى محاولاتهِ صناعةُ قاربٍ خشبي معَ أنَّه لم يرَ قارباً في حياتهِ من قبلُ، بعدَ أن جهَّز القاربَ وضعَ في خلفه (دينمو) راديو قديم، وغطاءً معدنياً صنعَ منه مروحةً أوصلها بـ(الدينمو) ثم أوصلها ببطاريةٍ.

وعلى صفحةِ ماءِ البركةِ جرى القاربُ، لكن سرعانَ ما جفت البركةُ وسقطَ القاربُ على اليابسةِ.

(٥٥)

رغم معرفتي بصديقي (قيس يمكن) منذُ سنواتٍ، فإنَّ العزلةَ قرَّبتنا أكثرَ حتَّى صارَ الحديثُ بيننا وشاياتٍ لذيذةً.

من حكايتِه أنَّهُ كانَ يخافُ لسعاتِ النَّحلِ، ولما عرفَ أنَّ هناكَ من يتداوى بهذهِ اللَّسعاتِ، فكَّر أن يربي النَّحلَ لجني العسلِ وبيعِ اللَّسعاتِ، وبعدَ أن استعانَ بمن لهُ معرفةٌ جاءَ اليومُ الَّذي صارَ عليهِ أن يعتني بالنَّحلِ بنفسِه، لكنَّ كميَّةَ اللَّسعاتِ الَّتي أصابتهُ أحالت وجههُ إلى بقعةٍ حمراء ملتهبةٍ، حتَّى غاصت عيناهُ في وجههِ المتورّم!!

(٥٦)

يعجبني صديقي (قيس يمكن) أنَّه يصنعُ من كلّ حدثٍ صغيرٍ حكايةً ممتدةً، ذكرَ أنَّهُ شاركَ في مركزٍ صيفي، واختارَ لهُ الأستاذُ دورَ مدرسٍ، وهناك أخذَ أحدُ الطُّلابِ دورهُ في مقاطعةِ الأستاذِ والتَّشويشِ على زملائهِ، فكيفَ سيتصرفُ؟

بدأ (قيسٌ) يشرحُ الدَّرسَ، وبدأ الطَّالبُ يؤدي دورهُ في الإزعاجِ، لكنَّ قيساً خرجَ عن النَّص، وانتهى الأمرُ بطردهِ من المركزِ الصَّيفيّ!!

(٥٧)

في طريقي إلى المسجدِ بعد غيابٍ -بسبب الحظرِ المنزليّ- لمحتُ صديقِي (قيس يمكن) قادماً من بعيدٍ، وكانَ يحملُ سجَّاداتٍ، ولما اقتربَ بادرني بالسَّلامِ ونظر إليَّ، ومدَّ لي سجادةً، وانطلقَ بعدَها يوزّعُها على المصلينَ، ويحاضرُ في ضرورةِ التَّقيدِ بالتَّعليماتِ للوقايةِ من (كورونا).

(٥٨)

حدَّثني صديقي (قيس يمكن)، أنَّه يحرصُ على التقاط صورةٍ في كلِّ مرحلةٍ من عمرِ ابنه، يقولُ (قيسٌ): أذهبُ إلى محلِّ التَّصويرِ، وكالعادةِ يجهِّزُ العاملُ الخلفيةَ، وأنشغلُ بترتيبِ هندامي؛ حتَّى تُظهرَ الصُّورُ وسامتي الَّتي سيتباهى بها ابني عندَما يكبرُ.

جلسنا في وضعيةٍ معينةٍ بدت مريحةً، وطلبَ منا العاملُ النَّظر إلى (الكاميرا) دونَ اهتزازٍ أو طرفةِ عينٍ، وبعد لحظاتٍ أقبلَ العاملُ فرحاً بالصُّورةِ، والمفاجأةُ ليست في جمالِ الصُّورةِ لكن في الخلفيَّةِ، فخلفي أشجارُ الخريفِ الصَّفراءُ، وخلفَ ابني أشجارٌ تكسوهَا الخضرةُ والرَّواءُ!!

(٥٩)

تخلَّف صديقِي (قيس يمكن) عن تواصلهِ اليوميّ، فاتصلتُ به أكثرَ من مرةٍ، لكن لا جوابَ، من بداية الأزمة تناقشنا في أمورٍ كثيرةٍ، حكى عن ذكرياتهِ كما لم يحكها من قبلُ، كانَ بيننا حكايةٌ مشتركةٌ استأذنتهُ أن أقصَّها.

فقالَ: اترك الأمرَ إلى وقتهِ.

قلتُ: متى وقتهُ؟

قالَ: إذا انتهى الحظرُ، فربما وقتها لن يعودَ هناك من يهتمُّ بهذهِ اليومياتِ، فالخروجُ من زمنِ (كورونا) سيكونُ بدايةَ حياةٍ مختلفةٍ لنا جميعاً!!

(٦٠)

فكرةٌ قديمةٌ تعرفونها (فكّر في الصُّعودِ قبلَ النُّزولِ)، فالنُّزولُ إلى البئرِ دونَ معرفةِ وسيلةِ الصُّعودِ غفلةٌ ما بعدَها غفلةٌ، ذكرتُ ذلكَ لصديقي (قيس يمكن) فقالَ: هي نفسُها فكرةُ الخروجِ من البيتِ ومواجهةُ وباءِ (كورونا) بسلوكٍ مستهترٍ.

فقلتُ: الفرقُ معَ ذلكَ قائمٌ، فضررُ النُّزولِ إلى البئرِ دونَ تأمينِ وسيلةِ الصُّعودِ مشكلةٌ فرديةٌ، بينما الخروجُ العشوائيُّ والاختلاطُ في زمنِ (كورونا) دمارٌ شاملٌ!!

(٦١)

اكتشفت أنَّ صديقي (قيس يمكن) يشاهدُ مسلسلاً تاريخياً طويلَ الحلقاتِ، متعدّدَ المواسمِ، فأحببتُ أن أتابعهُ، وبعدَ أيام سألني عن رأيي وأينَ وصلتُ في متابعةِ الحلقاتِ، فأخبرتهُ أنَّني تألمتُ من غدرِ إحدى الشَّخصياتِ ببطلِ المسلسلِ، فاندفعَ لا شعورياً يروي ما حصلَ لهُ ممَّا لم أشاهدهُ بعدُ، فصرختُ بغضبٍ: توقَّف، فقالَ: لا تخسرني من أجلِ مسلسلٍ أحداثهُ خياليةٌ!!

(٦٢)

اسمحوا لي أن أتولَّى سردَ يوميَّة هذا اليوم بدلاً من صديقي (حسن)، هو بخيرٍ، لكنَّه شاردُ الذّهنِ منذُ البارحة، ولما لاحظتُ اقترابَ موعدِ نشرِ اليوميَّة، ولم أجد حساً لها أو خبراً، قلتُ في نفسي: جاءَ دوري لأجدَ مبرراً للحكي، (حسن) ظلَّ يقدمني لكم حتَّى أصبحتُ (قيس يمكن)، ربما أنا حكايةٌ ملتبسةٌ عند بعضِهم أو غريبةٌ عندَ آخرينَ، ما أعرفهُ أنَّ (حسن) لديه حكايةٌ مختلفةٌ عن سببِ وجودِي، ولم يخبر أحداً بها، وقد سألتهُ عن سببِ وجودِي في يومياتهِ، فقالَ:

يا (قيس) احمد ربَّك!!

(٦٣)

هل تذكر يا (حسن) يومَ اخترتُ لألعبَ في فريقِ المدرسةِ؟ يومَها أحسستُ بغيرتكَ، لكنَّكَ كتمتَها في نفسكَ ولم تبدِها، وذهبتَ معي إلى حيثُ المباراةُ.

نظرَ المدربُ في ملابسي فوجدها بلونٍ مختلفٍ، فقالَ: لن تلعبَ يا (قيسُ) حتَّى تلبس قميصَ الفريقِ الأصفرِ.

صرخَ أحدُ الطُّلابِ من الخلفِ: المديرُ طلبَ منَّا أن نلبسَ قميصاً أزرقَ.

قال المدربُ: إذاً عليه أن يتولَّى التَّدريبَ بدلاً مني!!

(٦٤)

حدَّثني صديقي (قيس يمكن) عن موقفٍ طريفٍ، لكنَّه لا يحسدُ عليهِ، كانَ عليهِ أن يذهبَ لتقديمِ واجبِ العزاءِ، يقولُ: دخلتُ خيمةً مكتظةً بالمعزين، ووقفتُ في المنتصفِ لألقيَ كلمةَ العزاءِ -كما هو معتادٌ في أعرافِنا- كنتُ قريباً من عمودِ الخيمةِ، لحظتَها تعثَّر صبَّابُ القهوةِ فمالَ عليَّ، وأنا بدوري فقدتُ توازني، فاتكأتُ على العمودِ، وسقطت الخيمةُ على رؤوسِ الجميعِ...!

(٦٥)

في إحدى مسامراتي مع صديقي (قيس يمكن) قالَ: عندما كنتُ في الثَّانويةِ كانَ المدرسُ يشرحُ قصَّة (قيس و(ليلى)، فالتفتَ الطُّلابُ نحويَ وتضاحكُوا.

ومن يومِها أسررتُ ضحكَهم في نفسِي، وبدأتُ أفكرُ في (ليلى)، وقلتُ لأمي: زوّجوني بامرأةٍ اسمها (ليلى)، ولما عرفَ أبي بأمنيتي وبَّخني، ومعَ توالي السنينِ توارى الحلمُ حتَّى جاءت ليلةٌ كنتُ أهذي فيها من أثرِ الحمَّى، وما إن بزغَ الصُّبحُ حتَّى كانت زوجتي تحقّقُ في أمرِ (ليلى)!!

(٦٦)

أخبرني صديقي (قيس يمكن) أنَّه جرَّب مرةً كتابة مسرحيةٍ، وكانَ كلَّما وضعَ حدثاً تشعَّبَ إلى أحداثٍ أخرى، ومع تقدُّمه في الكتابةِ ظهرت شخصياتٌ وماتت أخرى، والفكرةُ كلَّما استقامت ظهرَ شيء مربكٌ يفسدُها، وظلَّت هكذا غامضةً ولم تتبلور، رمى قلمهُ ونظرَ من نافذةِ بيتهِ فرأى أخلاطاً من البشرِ تموجُ وسطَ السُّوقِ، لا يجمعُهم سوى المكانِ، رأى مجموعةً تتشاجرُ والأصواتُ تتعالى، رأى أناساً على مقهى ينظرونَ إليهم ببرودٍ، وآخرونَ يتبادلونَ الأحاديثَ دونَ اكتراثٍ، وفجأةً طرقَ أحدُهم بابهُ وجرَّه إلى مسرحيتِهم!!

(٦٧)

حدَّثني صديقي (قيس يمكن) فقالَ: بين قريتنا وقريةٍ أخرى اجتيازُ جبلٍ، في قمتهِ كومةُ حجارةٍ كلَّ حينٍ حتَّى تكبرَ، سألتُ الشَّيخَ الَّذي كنتُ أرافقهُ، فذكرَ أنَّ هذا شاهدُ الطَّهارةِ، هذه خطيئةٌ دُفنت بعدَ توبةٍ فارتفعَ حظُّها.

وكنتُ كلَّما رأيتُ شيئاً لافتاً تذكَّرتُ هذا الشَّاهدَ، وسألتُ نفسي: هل كلُّ شامخٍ في زمننا دالٌّ على الطَّهارة؟!

(٦٨)

حدَّثني صديقي (قيس يمكن) عن هوايته الَّتي وئدت مبكراً، يقولُ: لمَّا سمحَ بعودةِ الموسيقى إلى المدارسِ مؤخراً، تذكَّرتُ الحفلَ الَّذي أقامتهُ مدرستُنا قبلَ سنواتٍ طويلة، كانت الفقرةُ الَّتي هلَّلَ لها الحاضرونَ عندما أمسكَ أستاذُ اللُّغةِ العربيةِ العودَ وبدأ يعزفُ مقطوعاتٍ موسيقيةً أطربت الجميعَ، يومَها -يقولُ (قيس) – تشجَّعتُ وصنعتُ آلةَ عودٍ من جالونٍ، قطعتُ ناحيةً منهُ وشددتُ أوتاراً إلى خشبةٍ ثبتها في الطَّرفين، وبدأتُ أدندنُ لأبي وأمي اللَّذينِ شجَّعاني بحبورٍ فطريّ، فجأةً دخلَ أخي الأكبرُ، وبغضبٍ ناري صرخَ: حرامٌ، وهوى بقدمهِ على آلةِ العودِ السَّاذجةِ!!

(٦٩)

وقع بيني وبينَ صديقي (قيس يمكن) تحدٍ حولَ اختيارٍ وجدناهُ مطروحاً، لو خُيّر أحدُنا بينَ أن يعيشَ (١٥) عاماً فقط من عمرهِ الحاليّ معَ (٥٠) مليون ريالٍ، أو أن يعودَ إلى العاشرةِ من عمرهِ مع كلّ الخبراتِ والتَّجاربِ الَّتي يملكُها الآنَ ليبدأ حياتهُ، الاختيارُ كانَ مربكاً، فربما الأوَّلُ يناسبُ الأغنياءَ والثَّاني يناسبُ الفقراءَ، لكنَّني انحزتُ إلى اختيارِ العودةِ إلى أوَّلِ العمرِ مع كاملِ خبراتي، و(قيس) اختارَ البقاءَ (١٥) عاماً مع (٥٠) مليون ريالٍ ليعيشَ حياتهُ كما يريدُ!!

(٧٠)

عانى صديقي (قيس يمكن) من مشروعِ بقالتهِ الَّتي افتتحها لتحسينِ دخلهِ فمتاعبُها لا تنتهي، وأرباحُها متدنيةٌ، ولما بدأ يبحثُ عن السَّببِ قالَ له العاملُ:

(أنتَ ما فيه شغل، أنت سلّم بقالة حقي أنا، بعدين خذ فلوس كويس آخر شهر).

جرَّب (قيسٌ) الأمرَ فوجدهُ عمليةً مريحةً دونَ (وجع رأسٍ)، وأغراهُ الموقفُ أكثرَ فزادَ من افتتاحِ البقالاتِ حتَّى لم يعد يدرِي عددَها.

لكنَّ وشايةً من منافسيهِ أكلت الأخضرَ واليابسَ...وطالتهُ العقوبةُ!!

حوار حسن النعمي
مع برنامج (حكايات)

بإذاعة سلطنة عمان[1]

إعداد وتقديم: أمل السعيدية

متابعة وتنسيق: خالد حمدان الحجري

مشوار حكايات لهذا اليوم عن (كتابة اليوميات في فترة العزلة)، نقترب فيه من تجربة د. حسن النعمي، أستاذ السردية المعاصرة والمسرح بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، وهو قاصٌّ وناقدٌ وباحثٌ في السرديات العربية القديمة والحديثة، عن أهمية تدوين (اليوميات) وغيرها من الأسئلة كان حوارنا التالي معه:

---

(١) حوار الخميس ١٨ يونيو ٢٠٢٠م.

•كنت تدون يومياتك الفترة الماضية وسميتها (يومياتي في العزلة)، ما أهمية تدوين (اليوميات) في نظرك خصوصاً في هذه الفترة الاستثنائية التي نمر بها ويلتزم فيها الجميع بالجلوس في البيت؟

- هي مرحلة استثنائية في حياة البشرية كلها، فكرة البقاء في البيت من أجل صحتك وسلامتك، ووجودك في نطاقٍ ضيقٍ في منزلك، الوجوه نفسها والرتابة اليومية ذاتها، مما يخلق نوعاً من التوتر عند الإنسان، فضلاً عن وجودي في مكتبتي دائماً، فظهرت فكرة أن أدون هذه (اليوميات)، وأرصد فيها الأشياء الصغيرة التي نمر عليها مرور الكرام، سواء كانت من الموجودات في حياتنا أو من ذكرياتنا القليلة التي لم تجد المجال لروايتها. فكتبت هذه (اليوميات) في مستوى التخييل الذاتي حيناً، وفي المستوى العفوي البسيط أحياناً أخرى، وخلقت فيها شخصيةً حواريةً خياليةً أتجاذب الحديث معها، وقد لقيتْ الحلقات الأولى ترحيباً وتشجيعاً من المتابعين في وسائل التواصل الاجتماعي، ثم أخذت إيقاعاً جدياً بعد ذلك؛ حيث وضعتها في نسقٍ فلسفي تدعو للتأمل وتعلق بالذهن المتلقي.

•هناك قيمةٌ شخصيةٌ وقيمةٌ تاريخيةٌ لهذه (اليوميات)، تبدو القيمة الشخصية - كما ذكرت- ربما في تخفيف القلق والتوتر

أو تأمل الحياة من خلال مراجعة ما حصل لك في ذلك اليوم، والقيمة التاريخية ربما قادمةٌ في المستقبل من اعتبارها وثيقةً تؤرخ ما يحدث في هذه الفترة اجتماعياً. ما رأيك في ذلك؟

- نعم صحيح يصبح لها قيمةٌ اجتماعيةٌ، وتصبح نصوصاً تمثل فترةً محددةً هي فترة العزلة؛ لأنها ارتبطت بحدثٍ معينٍ له سياقٌ اجتماعيٌّ وتاريخيٌّ خاصٌّ، لكنَّ اعتبار الأدب وثيقةً مطلقةً أتحفظ عليه، إذ النظر كيف كان يعيش الإنسان في تلك الحقبة مهمٌّ أكثر من التوثيق، وإسقاط أزمة الإنسان داخل هذه الفترة الزمنية هي الفكرة التي نحاول تلمسها من خلال علاقة الأدب بالتاريخ. فالآداب السردية تبحث في سلوكيات الإنسان ومشاعره في تلك الحقبة وهذا مهملٌ كثيراً في تاريخنا الرسمي؛ حيث لا نعرف تفاصيل كيف عاش الإنسان تلك الحقبة.

•أنت متخصصٌ في السرديات العربية القديمة. هل كان هذا الشكل من (اليوميات) موجوداً في الكتابات القديمة؟

- نعم الرصد التاريخي في الأدب والحكايات نجده موجوداً، لكنه لم يتخذ الشكل الرسمي. ومن ينقب مثلاً في كتاب (الأغاني) للأصفهاني أو (نهاية الأرب) للنويري سيجد حكايات البسطاء حاضرة على المستوى اليومي، وهذه نعدها من (اليوميات) بعد أن توضع في إطارٍ أكبر وتجمع ويتم إلقاء الضوء عليها، ونجد في

كتاب (الحيوان) للجاحظ أيضاً حكاياتٍ مثلها لكنَّها متناثرةٌ لم تأخذ شكلاً أدبياً مستقلاً بذاته مثل المقامة، ومن ثمَّ ففكرة اشتغال الإنسان بهمه اليومي في الكتابة موجودة عبر العصور، لكنها لم تتجسد وتصبح شكلاً أدبياً واضحاً إلا فيما بعد.

• متى بدأ هذا الشكل واضحاً في الأدب المعاصر؟

- في القرن التاسع عشر في الكتابات الأوربية أولاً ثم وصلت إلينا، وتعد (اليوميات) موازيةً للسيرة الذاتية، ترصد اليومي والآني في حياة الإنسان، وبدأت بنصوصٍ بسيطةٍ كأن يقول التاجر: فعلت كذا وكذا ويرصد ذلك، ثم أخذت شكلاً أدبياً آخر تبعاً لتطور المعرفة وحاجة الكتاب أن يعبروا بطريقةٍ مختلفةٍ، حتى أصبحنا نجد (اليوميات) داخل الرواية نفسها فيتقمص الروائي دور كاتب (اليوميات) ويدرجها في سياق الرواية.

• هناك من يظن أنَّ كتابة اليوميات حصرٌ على الأدباء ولأنه ليس أديباً من الصعب عليه بمكانٍ أن يلتزم بكتابة يومياته. ما رأيك في ذلك؟

- من حيث المبدأ كل إنسانٍ من حقه أن يكتب يومياته، لكنَّ تحويل هذه (اليوميات) إلى نصٍ أدبي يحتاج براعةً ودربةً أدبيةً، ومن ثم ينبغي تحديد هدف هذه الكتابة هل هو للأغراض الشخصية أو

النشر؛ لمعرفة قيمتها الأدبية في السياق الأدبي، وقد نتفاجأ بكتابات لتجار في القرنين ١٨ و ١٩ سافروا إلى الهند، ليس لها قيمة أدبية، لكن تاريخية، فأهمية هذه (اليوميات) لا يمكن إلغاؤها سواءً في مستواها الأدبي أو الاجتماعي أو التاريخي، لكن نحن الأدباء نبحث عن الحس الأدبي فيها دائماً.

•ربما كانت ثقافة تدوين (اليوميات) حاضرةً بصورةٍ كبيرةٍ قبل ظهور مواقع التواصل الاجتماعي وخصوصاً المدونات الإلكترونية، لكن بعد وجود وسائل التدوين السريعة مثل (تويتر) و(فيسبوك) وغيرها أصبح هناك تراجعٌ لبعض المدونات الشخصية؛ التي اعتاد الأدباء تدوين يومياتهم من خلالها بسبب السرعة والاختصار. فهل نعتقد أننا خسرنا بذلك المدونات الشخصية؟

- لا أعلم على أي مستوى نطلقها، لكنَّ الأمر نسبيٌّ من حيث التراجع، وجماهيرية هذه الوسائل في (تويتر) و(فيسبوك) ظاهرة، ومن يعتمد على الوسائل التقليدية يكون حضور نصه أقلَّ بلا شك، ومبيعات الكتب الورقية صارت أقل، وفارق نقل المعلومة يؤثر على وصول المادة الموجودة؛ لأنَّ وسائل التواصل أسرع وأعمق تأثيراً.

أنا لست ضد النشر الورقي، فالوسائل التقليدية تظل موجودةً، لكنها لن تعطيك مثل ما تعطيك وسائل التواصل الاجتماعي، وفي عزلتنا التي عشناها الآن لولا هذه الوسائل لضاق الناس بحياتهم أكثر؛ حيث سهلت لهم التواصل مع الجهات الرسمية لأغراض الصحة والتعليم وغيرها.

• تقول في إحدى يومياتك: (اليوم جلستُ في مكتبتي، احترتُ ماذا أقرأ؟ شعرتُ أن الكتب تساوت، وأن الأفكار صارت آسنةً، قررتُ أن أفتح كتاباتي أيام الصبا، قرأتُ فخرجتُ من عزلتي إلى عالمٍ أرحب من نطاق مدينتي؛ حتى جاءني اتصالٌ أعادني قسراً إلى عزلتي المنزلية!!) هذا يأخذني إلى سؤالك عن أهمية تدوين (اليوميات) في تذكيرنا بمراحل معينةٍ في حياتنا قد نرغب في استعادتها في وقتٍ لاحقٍ؟

- مع عجلة تسارع الحياة نسينا رصيدنا من الذكريات والتفاصيل الصغيرة. انبهرت أمام نفسي وأنا أفتش في ذاكرتي عن أشياء غفلت عنها، لكن مع العزلة والجلوس في البيت اقتربنا من كتبنا وأشيائنا، وبدأنا نعيش تفاصيل كثيرة؛ لأنَّ الذاكرة غزيرةٌ وتحتاج وسيلةً لإخراجها فكانت (اليوميات) مناسبةً- أو أن تكتب روايةً- لكنَّ إيقاع اليوميات أسهل وأسرع، تكتب إما عبر الذاكرة أو عبر ملاحظاتك، وتنطلق من عزلتك إلى العالم، وفيها

ثراءٌ أكبر لذاكرتك وحياتك، وكأنك تقف الآن على مشارف هذه العزلة وتقول أنا عشت حياةً أين ذهبت؟ حان الوقت لأعود إليها الآن، وهي في الوقت نفسه استحضارٌ نفسيٌّ ومعنويٌّ نتقوَّى به ضد قيود العزلة التي نعيشها.

• في إحدى (اليوميات) التي كتبتها تقول: (اليوم كلُّ شيء في فناء البيت يسوده الهدوء إلا من صوت قطرات الماء تتهادى بإيقاعها الرتيب، ومن بعيدٍ كان قطٌّ الجيران ينظر إلي مشفقاً، تنحيتُ جانباً فهبط إلى حوض الماء يشرب دون خوفٍ كالعادة، حينها أغلقتُ الباب، وعدتُ أجلسُ عند حافة النافذة أرقبُ الحياة الفاترة!!) كتابة (اليوميات) تندرج تحت بند السيرة الذاتية، لكن هنالك من يعرفها بأنها (أدب العزلة) فما المقصود بـ(أدب العزلة)؟

- ارتبطت كتابة (اليوميات) بسياقٍ نحن مقيدون فيه بمنازلنا عن الحركة الاعتيادية، والخروج من البيت في الموعد المعتاد والعودة إليه في موعدٍ معينٍ، واضطررنا إلى البقاء في البيت فترةً أطول، فهي تشبه العزلة عن الناس والحياة، وعليك أن تبحث عن مفردات الحياة داخل بيتك لا خارجه.

• بعض هذه (اليوميات) -كما لاحظتُ- ساخرٌ وبعضها تتأمل فيه الأشياء الصغيرة. ما أكثر القصص التي شاركتها عبر (تويتر) في يومياتك ولاقت صدى عند القراء؟

- القصص التي ارتبطت بـ(قيس يمكن) وهو شخصيةٌ سرديةٌ حضرت بعفويةٍ، واستمر نمطها متأرجحاً بين اليقين واللايقين، وظهرت عفويته في بساطته أحياناً واندفاعته أحياناً أخرى، وخلقت معه فضاءً من المشاركة؛ لأن فكرة التأمل المطلق حضر في بعض (اليوميات)، وأيضاً مستوى خلق نص قصصي داخل هذه (اليوميات) كان بمشاركةٍ حواريةٍ مع (قيس يمكن) الشخصية الافتراضية، وهي فعلاً شخصيةٌ خياليةٌ ارتبطت بحركتي الداخلية داخل البيت، كما أن المزاج العام خلق هذه الذكريات، وكنت استحضر ذكرياتي بخلق جو سردي أكثر منه واقعياً، وهناك رسائل وتشفيرات في هذه (اليوميات) تعلّق القراء بمواعيد هذه (اليوميات) وانتظار ما يحصل فيها فكان هناك نوعٌ حاضٌر من التشويق.

• في برنامج (حكايات) نريد أن نسمع منك حكاية الطبق الذي أصبح اسمه (بابا ستر علينا).

- هذه حكايةٌ جميلةٌ لابنتي، تذكرتها حين جلسنا مع أبنائي، وبدأت أستعيد ماضي طفولتهم وهم يحكون، فابنتي تحكي لي عن ذكريات الطفولة معها، وأنها وزميلاتها -ربما في المرحلة المتوسطة- صنعن طبقاً معيناً ولكنه فشل، فاقترحت عليهنَّ أن يُرشَّ بالسمسم؛ لتختفي ملامح التشويه فصار بهذا الاسم.

• هل تنوي مستقبلاً جمع هذه (اليوميات) ونشرها في كتاب؟

– نعم فقد وصلت إلى نهاية العزلة، وبعد بضعة أيامٍ ستنتهي العزلة الرسمية عندنا في السعودية، وتبقى عزلة الشخص المسؤول عن صحته وصحة مجتمعه فهو يعزل نفسه بالتباعد الاجتماعي، وسأصدرها في كتابٍ ورقي أو إلكتروني بعنوان (قيس يمكن سرديات العزلة) ويصبح لهذه النصوص فضاؤها الخاص المرتبط بزمن العزلة.

• كتبت أيضاً القصة القصيرة جداً وربما أشكالاً أخرى تعرضت لها خلال تجربتك، ما الفرق بين كتابة القصة والجلوس لالتقاط هذه التفاصيل الصغيرة في كتابة (اليوميات)؟

– في (اليوميات) لا نبحث عن كتابة الرمز، فالأشياء التي أمامك هي التي تخلق هذه الحكايات، وفي القصة أنت تبحث عن فكرة وتكتبها، ففيها مستوى عالٍ من التعبير الأدبي. أما في (اليوميات) فهناك بساطة التعبير عن الفكرة وعمقها في الوقت نفسه، ووضعها في أي سياقٍ آخر ساخرٍ أو جادٍ أو درامي أو حواري، ومن ثمَّ فهي ليست يومياتٍ تسجيليةً مباشرةً، وإنما حكايات سمحت بمستوى عفوي للكتابة أكثر من القصة القصيرة جداً، ولاحظت أنَّ هناك تماهياً بين القصة القصيرة جداً وهذه (اليوميات) –بحكم أني قادمٌ من مجال القصة القصيرة

جداً- أثَّر على مستواها فارتفعت عن مستوى اليومية العادية إلى يوميةٍ لها طابعها الخاص، لكنها لم تصل إلى مستوى القصة القصيرة جداً، وتفاجأت بالمستوى الذي قدمته فلم أتوقع أن أجلس يومياً لأكتب هذه (اليوميات)، فجاءت هذه المرحلة عفويةً مثل صدمة (كورونا) حيث جاءت الكتابة متماهيةً مع الحدث.

• نريد أن نسمع منك حكايات أكثر. ما حكاية (فصلت يا بابا)؟

- أيضاً إحدى بناتي حين دخلت التمهيدي مع أختها - وفترة التمهيدي قبل الابتدائي- دفعنا الرسوم، وداومت في اليوم الأول فقط، وفي اليوم الثاني رفضت وقالت: أنا فصلت، فحولنا الرسوم لأختها في الفصل الثاني، وهنا مفارقة الطفولة كان عمرها خمس سنوات، والآن هي معيدة في جامعة الملك عبدالعزيز وتحضر الماجستير.

•جمال (اليوميات) أنك تنبش في تفاصيل صغيرةٍ ربما تعطيك موضوعاً حتى تشاركه مع أبنائك حتى يخفف العزلة. ما رأيك في ذلك؟

- أصبحت (اليوميات) فضاء البيت كله، فالحديث اليومي عن (كورونا) أتعب الناس حتى التلفاز مللناه، لكن العزلة قربتنا من بعضنا فكنا نهرب تلقائياً إلى هذا العالم، وأعتقد أنني جددت

معرفتي بأبنائي في العزلة أكثر من أي وقتٍ مضى، وأصبح كل فرد يفتح سجل ذكرياته الذي يتقاطع مع بقية أفراد الأسرة، وكنت ألتقط منه ما يناسب وأذيعه في يومياتي، وهذا دليلٌ على غزارة هذه الذكريات التي عادت إلى الحياة في هذه (اليوميات).

• في اليوم الرابع عشر من عزلتك قررت أن تخصص ذلك اليوم لتأمل اللوحات التشكيلية؛ التي بعضها اقتنيته وبعضها هدايا من الأصدقاء. كيف كان ذلك اليوم وما علاقتك بالفنون التشكيلية عموماً؟

- أنا أعشق اللوحات، وأبحث دائماً عن اللوحات الرمزية، أعشق التأمل فيها وفك رموزها؛ لأنني - بحكم تخصصي- ناقد أبحث دائماً عن الدلالة الرمزية للأشياء، وهذه اللوحات شكلت في نفسي قيمةً معينةً، ومنها لوحة تأملتها وكتبتُ عنها، وأضفت إليها شيئاً من الخيال، ففي مرحلةٍ من المراحل تشكل لنا لوحةٌ معنى ما، ومع العزلة تتشكل معانٍ أخرى لم نجدها من قبل.

• في اليومية الثانية والعشرون تذكرتَ ما رواه أبوك عن جدك عن أبيه، تسترجعُ شجرة عائلةٍ طويلةٍ ممتدةٍ في خلال هذه (اليوميات). حدثنا عن هذا اليوم تحديداً (٢٢)؟

- كنا جلوساً على سفرة إفطارٍ عامرةٍ، واستدعيت هذه الحكاية

القديمة التي رواها لي أبي، فهذا الجد كانت كسرة الخبز تكفيه، وكان يفطر مع رفاقه في المسجد، وفي أحد الأيام -وعلى سبيل الفكاهة العفوية- كان يؤذن وسأل أحدهم عما يفضله جدي من الخبز، فأجاب وهو في وسط الأذان: دخنة .. دخنة، فهنا نلاحظ عفويةً وبساطةً في ذكريات حكاياتٍ لا حد لها في الماضي قد تعود إلى مئات السنين، وميزتها أنك تستحضرها في لحظةٍ وتعيد إنتاجها وفقاً لمعطى تعيشه الآن وهو الخير والنعيم، فنحن معزولون لكن خيراتنا موجودةٌ والحمد لله.

•هل لاحظتَ من أبنائك من يريد تدوين يومياته تأثراً بتدوينك يومياتك؟

- أولادي اتجاهاتهم مختلفةٌ، وهناك ابنة واحدة فنانة تشكيلية، لكن لا أعتقد أن لديها رغبةً في الكتابة، هي قارئةٌ وفنانةٌ تشكيليةٌ بنمطٍ مختلفٍ.

•حلقتنا اليوم عن الاختلاف، وبدأنا الحلقة بالاختلاف بين الآباء وأبناءهم، فهنا إشارةٌ جيدةٌ إلى أن كلَّ أبنائك لهم اتجاهاتٌ وميولٌ مختلفةٌ. ما رأيك؟

- عندي ابنةٌ واحدةٌ لها اهتماماتٌ فنيةٌ ترسم الرسم الديجتال المختلف عن الرسم العادي، وصممت لي غلافين أو ثلاثة لكتبي،

وإحدى لوحاتها التي استعملتها رسمتها وعمرها (١١) سنة في كتاب (رجع البصر) الطبعة الأولى، ولوحة أخرى لكتاب (بعض التأويل)، فهناك تعاونٌ بيني وبينها.

الفهرس

مقدمة..... ٥
سرديات العزلة..... ٩
حوار في برنامج (حكايات)..... ١٤٩

"الإحساسُ بالحريةِ يبدأُ بالنظرِ من خلالِ النّافذةِ؛
لذا فالسجونُ لا نوافذَ لها!"

حسن النعمي

قاص وناقد

• أصدر ثلاث مجموعات قصصية:

- زمن العشق الصاخب، ١٩٨٤م.
- آخر ما جاء في التأويل القروي، ١٩٨٧م.
- حدّث كثيبٌ قال، ١٩٩٩م.
- الأعمال القصصية، ٢٠١٧م.

• أصدر في النقد والدراسات:

- رجع البصر: قراءات في الرواية السعودية، ٢٠٠٤م.
- الرواية السعودية: واقعها وتحولاتها، ٢٠١٠م.
- بعض التأويل: مقاربات في خطابات السرد، ٢٠١٣م.
- الخوف من الليبرالية، ٢٠١٥م.
- قارئ السرد: سجالات السرد والواقع، ٢٠١٧م.

halnemi@gmail.com
@HassanAlnemi
halnemi

9 786039 147251